



لا شك بأن بيان حال الفرق الخارجة عن الجماعة، والمجانية للسنة ضروري لرفع الالتباس، وبيان الحق للناس، ونشر دين الله سبحانه، وإقامة الحجة على تلك الطوائف ليهلك من هلك عن بيته، ويحيا من حي عن بيته فإن الحق لا يكاد يخفى على أحد، وإنما يضل هؤلاء أتباعهم بالشبهات والأقوال الموهمة، ولذلك فإن أتباع تلك الطوائف هم ما بين زنديق، أو جاهل، ومن الضروري تعليم الجاهل، وكشف حال الزنديق ليُعرف ويُحذر.

وببيان حال أئمة البدع المخالفة لكتاب والسنة واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلِّي ويغتاف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا قام وصلَّى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضَل»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بَيْنَ أَنْ نَفْعَهُ هَذَا عَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جَنْسِ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ تَطْهِيرُ سَبِيلَ اللَّهِ وَدِينِهِ وَمَنْهَاجِهِ وَشَرْعَتِهِ، وَدَفْعُ بَغْيِ هُؤُلَاءِ وَعَدُوِّهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ بِالْعَهْدِ وَالْمُؤْمِنِيَّةِ، وَلَوْلَا مِنْ يَقِيمِهِ اللَّهُ لَدْفَعَ ضَرَرَ هُؤُلَاءِ لِفَسَدِ الدِّينِ، وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ اسْتِيَالِ الْعُدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ، فَإِنَّ هُؤُلَاءِ إِذَا اسْتَوْلَوْا لَمْ يَفْسُدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنْ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ يَفْسُدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِدَاءً»[1].

وقد وجد العدو المتربيص بالأمة في هذه الفرق الخارجة عن الجماعة، وسيلة لإيقاع الفتنة في الأمة، وهذا الكلام قد قلتَه بعيد الثورة الإيرانية.

ثم قلت معلقاً عليه: ولا يبعد أنه اليوم يريد أن يستثمر هذه المسألة لمواجهة بوادر البعث الإسلامي المتلامي في أرجاء المعمورة، والوقوف في وجه المد الإسلامي الذي امتدت آثاره إلى عقر داره، لأنه يتخذ من تقارير مستشاريه - الذين يهتمون بأبلغ الاهتمام بتاريخ تلك الطوائف وعقائدهم - منهجاً يحتذيه في علاقته مع المسلمين ودولهم، ولذا نلحظ أنه يغذي بعض هذه الطوائف، وبيهيء الوسائل لوصولها لدفة الحكم والتوجيه.

ولا شك أن بيان الحق في أمر هذه الفرق فيه تفويت لفرصة أمم العدو لتوسيع رقعة الخلاف واستمراره؛ فإن ترك رؤوس زنادقة البدع يسعون لإضلال الناس، ويعملون على تكثير سوادهم، والتغريب بأتباعهم، ويدعون أن ما هم عليه هو الإسلام، هو من باب الصد عن دين الله وشرعه، حتى إن من أسباب خروج الملاحدة ظنهم أن الإسلام هو ما عليه فرق أهل البدعة، ورأوا أن ذلك فاسد في العقل فكفروا بالدين أصلاً.

ومعظم الفرق التي خرجت عن الجماعة ضعف نشاطها اليوم، وفتر حماسها وتقلص أتباعها، وانكفاءات على نفسها، وفاقت منابذتها أهل السنة سوى طائفة الإثنى عشرية التي تسمى في عصرنا بالشيعة، فإن هجومها على أهل السنة، وتجريتها

لرجالهم، وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيع بينهم يزداد يوماً بعد يوم، وهي أشد فرق الشيعة سعياً لإضلال العباد إن لم تكن الفرقة الوحيدة التي تُكثُر من التطاول على السنة، والكيد لها على الدوام مما لا تجده عند فرق أخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل كل فتنه وبليه هم الشيعة ومن انصوئي إليهم، وكثير من السيفون التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم، وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون، اختلقوا أكاذيب، وابتدعوا آراء فاسدة، ليفسدوا بها دين الإسلام، ويستزلوا بها من ليس من أولي الأحلام[2]، وقال أيضاً: «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتنة والشروع والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقدعون عما يمكنهم من الفتنة والشر وإيقاع الفساد بين الأمة[3].»

واهتمام هذه الطائفة بنشر مذهبها والدعوة إليه أمر لا ينكر، ولديها دعاة متفرغون ومنظمون، ولها في كل مكان (غالباً) خلية ونشاط، وتوجه جل اهتمامها في الدعوة لحلتها في أوساط أهل السنة، ولا أظن أن طائفة من طوائف البدع تبلغ شأوها هذه الطائفة في العمل لنشر معتقدها والاهتمام بذلك، فهي اليوم تسعى جاهدة لنشر مذهبها في العالم الإسلامي، وتصدير ثروتها، وإقامة دولتها الكبرى بمختلف الوسائل.

وقد تحولت سفارات دولة الشيعة في إيران إلى مركز للدعوة إلى مذهبها في صفوف الطلبة، والعاملين المسلمين في العالم، وهي تهتم بدعوة المسلمين أكثر من اهتمامها بدعوة الكافرين[4].

ولا شك أن المسؤولية كبيرة في إيضاح الحقيقة أمام المسلمين، ولاسيما الذين دخلوا في سلك التشيع حباً لأهل البيت واعتقاداً منهم أن هذا الطريق عين الحق، وطريق الصدق. كما أن هذه الفرقة لها اهتمام دعائي في الدعوة للتقارب مع أهل السنة، وقد أقامت المراكز، وأرسلت الدعاة، وأنشأت الجمعيات التي ترفع شارع الوحدة الإسلامية[5].

لذا كان من الواجب المتعين وضع منهج لمقاومة هذا الغزو ال Rafidi لـ Diyar al-Muslimin، وهو يقوم على أصلين:
الأول: التحصين الذاتي للأمة ببيان السنة ونشرها، والتحذير من البدعة وفضحها.

والثاني: مواجهة البدعة والمبتدعين بالوسائل الشرعية المناسبة للحال والزمان والمكان.

أما الأول فإن خير سبيل لمقاومة البدعة ودرء الفرقة هو نشر السنة بين الناس، وبيان ضلال الخارجين عنها، ولذلك نهض أئمة السنة بهذا الأمر كما فعل الإمام أحمد في «الرد على الزنادقة والجهمية»، والإمام البخاري في «الرد على الجهمية»، وابن قتيبة في «الرد على الجهمية والمشبهة»، والدارمي في «الرد على بشر المرisi»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على ال Rafidi والجهمية وغيرهم.

وأما الثاني فإنه لابد عند مواجهة المبتدعة من التعامل معهم وفق أصول السياسة الشرعية، وعلى حسب نوع البدعة وانتشارها وقوة أهل السنة وضعفهم، فيجب على عموم الأمة مقاومة البدعة، كل حسب استطاعته وقدرته، ففرق بين ما يجب على أهل السنة في إيران أمام ركام هائل من الرفض، وحشد متآمر من الروافض حيث الدولة للرافضة والقوة معهم، وما يجب على أهل السنة في مصر والمغرب والسودان وغيرها إزاء الوجود ال Rafidi، قال ابن أبي العز: «وأما ما يجب على أعيانهم [يعني كل واحد بيته]: فهذا يتتنوع بتتنوع قدرهم، وحاجتهم، ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتى والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك[6].»

المنهج الشرعي في مواجهة المبتدعة:

المنهج الأمثل في التعامل معهم إنما يتلقي من النصوص العامة في الكتاب والسنة، قال تعالى: {إِذْ أَنْذِرْنَاكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءَكُمْ بِالْأَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]، وكذلك الرجوع إلى هدي الصحابة والتبعين والأئمة في تعاملهم مع البدع والمبتدعة، ويأتي في مقدمتها هدي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما يمكن أن يستفاد من الواقع التاريخية والتي يأتي في مقدمتها واقعة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج حيث استطاع بعد مناظرتهم ومحاورتهم إرجاع طائفة كبيرة منهم إلى السنة والجماعة [7].

والروافض وإن اختلفوا عن الخوارج في منشأ الضلال؛ لأن الخوارج أتوا من سوء فهمهم، حيث يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، إلا أن منشأ ضلال الروافض سوء قصدهم، وخبث طويتهم، ومع ذلك فإن الحق إذا جاء على الباطل فلا يلبث الباطل أن يكون زهوقاً.

والواقع كثيرة في ذلك، في المجال الفردي والجماعي، وتأتي في مقدمتها التجربة المثلى التي استطاع بها المجاهد صلاح الدين إزالة الوجود الرافضي من أرض الكناة، لا بالقوة كما فعل الصفويون بأهل السنة في إيران، بل بالحججة والإقناع، ونشر العلم والسنة، وإعلاء مكانة العلم وأهله؛ لأن ظلمة الباطل سرعان ما تنطلي بنور الحق: **{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}** [الإسراء: 18].

ولعل من المناسب أن يستشهد في مجال التعامل مع الوجود الرافضي المتزايد في الدول الإسلامية بفتوى مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أجد من نبه عليها وأشار لها مع أهميتها؛ لأنها تمثل منهاجاً دعوياً فريداً من جهة، ومن جهة أخرى تبيّن عدل أئمة السنة مع مخالفيهم مهما جاروا وظلموا واعتدوا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد علم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه ألف من الرافضة يسفكون دماء الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقاً عظيماً وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان [8]، أخذوا الخيال والسلاح والأسرى، وباعوه للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مر بهم من الجندي، وكانوا أضرّ على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيهما خير: المسلمين أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تحشر يوم القيمة؟ فقال: مع النصارى. وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين. ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر في غزوهم، وكتبوا جواباً مبسوطاً في غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم، وجرت بيني وبينهم مناظرات ومقابلات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلد़هم، وتمكن المسلمون منهم، نهيتهم عن قتلهم وعن سبِّهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا [9].»

فتأمل عدل أهل السنة مع الرافضة، حيث نهى شيخ الإسلام السلطان عن قتلهم، وتأمل حرصه وحبه لهدايتهم، فأشار على السلطان بتفریقهم بين المسلمين، ومنع اجتماعهم في مكان واحد، ثم قارن ذلك بما يفعله الرافضةاليوم في العراق والشام من إبادة جماعية وقتل عام لأهل السنة على الهوية.

نحتاج اليوم إلى إستراتيجية دعوية لإنقاذ الشيعة من كيد الملاي وارجاعهم إلى السنة وصرفهم عن مصادر أهل الضلال والزندة، والتي سماها الإمام الشيعي المهدى آية الله البرقعي أصناماً، وطالب بكسرها، وبدأ بكسرها وأس ضلالها الذي علمهم الكفر والزندة، وهو كتابهم «الكاففي»، كما نادى الإمام الشيعي المهدى الآخر موسى الموسوي عموم الشيعة قائلاً: «يا شيعة العالم استيقظوا»، ثم أطلق صيحة النذير في كتابه «الصرخة الكبرى».

وتفصيل القول في هذا المنهج لا يحتمل المقام ذكره، ولكنني أوجز القول في أهم أصوله ووسائله من خلال ما يلي:
أولاً: دعوتهم إلى التوحيد:

شيعة اليوم من خلال مصادرهم وواقعهم وثنين مشركون، ولذا فإنه يتبع الأخذ بمنهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم لأممهم، فقد كان أول دعوة الرسل ومفتتح رسالتهم هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: **{أَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمٍ يَا قَوْمٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: 59] ، وقال كلنبي لقومه: **{أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: 59، 65، 73، 85] ، وقال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ}** [النحل: 63] ، وهذا هو الأصل العظيم الذي تقوم عليه جميع رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام، يقول الإمام ابن القيم: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل [10].»

ثانياً: الدعوة إلى رجوعهم إلى مصادر التلقى لدى الأمة:

أخطر ما يفصل شيعة اليوم عن الدين الحق هو مصادر التلقي التي يسمونها «صحاح الإمامية» كما سماها أحد شيوخهم[11]، أو «سنة المعصومين» وفق ما نص عليه الدستور الإيراني[12]، وقد سماها شيخهم المظفر باللغز الذي يحتاج إلى بحث عن حل له وفك لرموزه[13]، وسماها الإمام البرقعي بالأصنام التي تعبد من دون الله، فرأى أن أول مراحل هدايتهم هو كسر هذه الأصنام، وبدأ بكسر أصلها وأساسها وأهمها لديهم، وهو «الكافي»، وذلك في كتابه «كسر الصنم»، كما من:

وهذه المرحلة في غاية الأهمية، وقد فصلت القول فيها في «مسألة التقريب»[14].

وملخص القول فيها يقوم على أصلين:

الأصل الأول: كشف حقيقة مصادرهم في التلقي، ويقوم على ثلاث ركائز في غاية الأهمية، وهي: أولاً: كشف حقيقة أسانيدها الموضوعية، وثانياً: بيان حال رجالهم ومصنفي كتبهم، وثالثاً: دراسة متونها لبيان تناقضها ومخالفتها للعقل والمنقول والأمور المعلومة بالضرورة والمتتفقة عليها.

الثاني: بيان عظمة مصادر السنة وعadalat رواتها والدعوة إلى اتباعها، فهي سبيل النجاة وطريق الهدایة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قد تركت فيكم شيئاً لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» [15].

ثالثاً: الاحتياج عليهم بالبراهين العقلية والأدلة المتفق عليها:

إفادة الحجة عليهم بالبراهين العقلية، والأدلة المعلومة الضرورية المتفق عليها، وقد سلك شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المنهج، وبينه بقوله: «نقدّر أن الأخبار المتنازع فيها لم توجد، أو لم يُعلمُ إليها الصحيح، وترك الاستدلال بها في الطرفين، وترجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر، وما يُعلم من العقول والعادات، وما دلت عليه النصوص المتفق عليها»^[16]، وقال أيضًا: «إن تركوا الرواية رأسًاً ممكناً أن نترك الرواية»^[17]، يعني: ونرجع إلى القرآن، ثم بين بطلان أصل مذهبهم بصربيح القرآن، وقد رجع بعض شيوخهم إلى الحق حينما رجعوا إلى كتاب الله تعالى، وتذمروا آياته مثل البرقعي، وشريعت سنكلجي وغيرهما.

وفي مؤتمر النجف أقر شيوخ الشيعة جمیعاً بالحق لما أقام عليهم الحجة علامه العراق علامه السویدي وذلك أمام الملك نادر شاه في القرن الثاني عشر، وفي مصر عاد الناس إلى السنة أزواجاً بعد قرابة ثلاثة قرون من حكم الروافض بتأثير العلماء، ووقفة صلاح الدين الأيوبي [18].

رابعاً: بيان الحق لهم كاف في إبطال مذهبهم:

فإذا بين الحق عرف الباطل، وإذا قرر التوحيد وأدلت به عرفة الشرك وبطلانه، وإذا نشرت فضائل الصحابة ومناقبهم وما أثراهم واجتهادهم وجهادهم ومحاسنهم وتاريخهم المشرق، وما لهم من الحقوق يتبيّن لكل عاقل بأنه لا يقع فيهم أو في أحدهم إلا زنديق، وإذا ذكرت أصول الإيمان وأركان الإسلام يتبيّن أن من جاء بأصل من عنده أو بركن زائد تقلیداً لشيخه فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وبه يتفق بطلان ما يدعون من أن أصل الدين هو الإمامة والأئمة.. وهكذا.

فإن بيان الحق لهم يتضمن أو يستلزم إبطال مذهبهم، وهذا كافٍ في بيان الحق لهم وكشف باطلهم، ولا سيما أن الملايي
يهومون أتباعهم بأن المساس بمذهبهم هو طعن في أئمتهم، وقد يحتاج الداعية للحق إلى الاقتصر على هذا المسلك، ولا سيما
في المجتمعات ذات الأكثريية الشيعية، وقد يكون التلميح أبلغ من التتصريح. فإذا بين لهؤلاء الرافضة الحق عرفوا حينئذ ما
هم عليه من باطل، وبعدها تتبين الأشياء، والضد يُظهره حسنَه الضد.

ويمكن أن يستدل على مشروعية هذا المنهج بقوله سبحانه: {وَلَا تَسْبِحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}

[النحل:108]، وكما يدل عليه حديث معاذ حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن[19] بأنه سيأتي قوماً من أهل الكتاب، ثم بين منهج دعوتهم والتدرج في بيان الحق لهم، لكنه لم يأمره بمحاجمة ديناتهم، بل أمره بدعوتهم إلى التوحيد أولاً، ثم إلى بقية أركان الإسلام.

وقد حدثني العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في منزله فقال: كنت في البقيع ورأيت ما يفعله الشيعة حول القبور فاتجهت إلى دليهم كما يعبر الشيخ، وقلت له: ألا تنهى هؤلاء عن هذه الأعمال التي توقعهم بالشرك بالله؟! فرد على قائلاً: هؤلاء عوام، والعوام لا يفهمون.

يقول الشيخ في هذه الأثناء: استوقفني أحد كبار علماء إيران ليس في العلم الشرعي ولكن في غيره، فقال لي: ياشيخ «قلت له: أتعرف أنك ابن عثيمين؟ قال: نعم»، هؤلاء (يعني الملالي) قبل الثورة ليس لهم أي قيمة، وعموم الناس اليوم ولا سيما طبقة المثقفين غير مقتنين بما يقولون، ثم قال: والله ياشيخ لو وجّهت إليهم إذاعة بالفارسية تبين الحق للناس، ولا تهاجم المذهب لما بقي على مذهبهم أحد.

ثم طلبت من الشيخ في جلسة أخرى أن يعيدها علي، وقلت له: سأرويها عنك، فأعادها علي دون قوله: «ولا تهاجم المذهب».

خامساً: محاورتهم في أصل حلتهم:

من الأخطاء الشائعة انشغال بعض المهتمين بأمر التشيع بالردود على شبكات الروافض حول الصحابة، وهذا حرب في غير ميدان، وسقوط في الخديعة الرافضية الكبرى، ذلك أن من الحقائق الثابتة في دين الراافضة أن الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكذلك الصحابة الذين بايعوهم لو كانوا في عصمة من كل خطأ، وسلامة من كل ظلم، وحفظ من كل ذنب، لم يكونوا في اعتقاد الراافضة إلا كافرين ومرتدین لسبب واحد عليه مدار الإيمان والكفر عندهم وهو إماماة الاثني عشر، والكفر بمن سواهم، فالخلفاء الثلاثة كفروا؛ لأنهم تولوا على المسلمين، والصحابة كفروا في اعتقادهم لأنهم بايعوهم، وهذا يقتضي تكفير أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ لأنه بايعهم، بل إنه - كما يقول شيخهم الشريفي المرتضى - : «دخل في آرائهم، وصلّى مقتدياً بهم، وأخذ عطيتهم، ونكح سببهم، وأنكحهم، ودخل في الشورى»[20].

فإياك ثم إياك أن تشغل نفسك بالرد على ما ينسبونه لبعض الصحابة من مثالب ومطاعن كعثمان ومعاوية وغيرهما من الصحابة، فإن هؤلاء لو لم يقعوا في هذه الأخطاء المنسوبة لهم (حقاً أو باطلًا) فلا يشفع لهم ذلك عند الروافض حتى يؤمنوا بالإمامية، وفي عصرنا بولاية الفقيه، فقد رووا عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: «وعزتي وجلالي لأعنبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة»[21].

ومن روایاتهم: أن الله قال لنبيه عن ولاية أئمتهم الاثني عشر: «فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالى ثم أتاني جاحداً لولايتك ما غرفت له حتى يقر بولايته»[22].

وما يقال عن الخلفاء والصحابة يقال في موقف الروافض من خلفاء بني أمية وبني العباس وسائر حكام المسلمين إلى أن تقوم الساعة، وموقفهم ممن بايعهم ورضي بحكمهم ودان بطاعتهم من عموم المسلمين الذين بايعوا خلفاء وحكام زمانهم. وقد تنبه إلى هذه الحقيقة المهمة القاضي عبد الجبار فقال: «وكثيراً تسأل الإمامية عما كان من عثمان في توليه أقاربه وغير ذلك، وفي سير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، وما ذاك إلا لضعفهم وانقطاعهم؛ لأن عثمان لو لم يول أقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافراً مشركاً عندهم بادعائه الإمامية لنفسه ولأنه بكر وعمر، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر أمير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم إماماً أبي بكر وعمر وعثمان، فمن يكلم الإمامية في إثارتهم

لهذه المسائل كمن يكلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، أو يكلم النصارى في استحلالهم الخمر، وإنما يكلّم في هذا من قال: لا ذنب لعثمان إلا ما أتاه من الحمى، وتولية الأقارب، ولو لا ذلك لكان مثل عمر، ومن قال: لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مسيرهم إلى البصرة، ولو لا ذلك لكانوا مثل أبي عبيدة وعبد الرحمن وابن مسعود.

فأعرف هذا ولا تكلّمهم فيه البتة، وكلّمهم فيما يدعونه من النص فهو الأصل[23].

سادساً: نقد المذهب من داخله:

يوجد في تراثهم ما يكشف حقيقة مذهبهم، ولذلك أوصى واضعوا هذه النحلة بعضهم بعضاً بكتمان دينهم، فقالوا: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[24]، كما أقرّوا بأنّ أحاديثهم لا تقبلها الفطر السوية، فقالوا: «إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدهم، ومن أنكر فذرؤهم»[25]، لكنهم مع هذه الوصايا فضحوا أنفسهم، وكشفوا عورات مذهبهم؛ لأنّهم كما يعترفون «مبتلون بالنّزق»[26]، وقلة الكتمان»[27].

ذلك أنّ من يتأمل - مثلاً - الأصل الذي يقوم عليه دينهم اليوم، وهو أساس دولتهم ومنطلق ثورتهم ألا وهو عقيدة الغيبة، وهي خرافة كبرى يكفي مجرد عرضها لبيان بطلانها[28]، وقد رجع أكثرهم عن التشيع - كما تقول نصوصهم - في المائة الثالثة بسبب شکهم في هذه العقيدة الخرافية[29].

وقد أشار شيخهم ابن بابويه القمي إلى أنه وجد «أكثر المختلفين عليه من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم - عليه السلام - الشبهة»[30].

ومثال آخر كان أيضاً سبباً في خروج الكثير من نحلتهم، ألا وهي ظاهرة التناقض، وقد اعترف شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة بـ «ما آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه» واعترف بأنّ هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأنّ هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنّه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض[31].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة[32].

سابعاً: معرفة مكائدهم لتوقيها:

معلوم أن للروافض وسائل في المكر والكيد لا تدرى اليهود بعشرها، ولا تصل الشياطين إلى خبئها، ومن الضروري معرفتها على سبيل التفصيل للحذر منها[33].

ثامناً: الاستفادة من الأعلام المهددين:

الاستفادة من الأعلام الذين اهتدوا إلى الحق، وذلك بالتعرف على وسائل دعوتهم، ونوع الخطاب المؤثر فيهم، والأساليب المناسبة لشيوخهم وعوامهم، كما يتبعن الاهتمام بإشاعة تجربتهم بين بنى ملتهم، ونشر كتبهم، وترجمة ما لم يترجم منها، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، فهناك كتب ألفها باحثون شيعة مهتدون إيرانيون وغير إيرانيين، وقد كان لهذه الكتب أثر كبير في أوساط الشيعة، وقد توقف طبعها إما لمحاربة المتطرفين لها، وإما لأسباب أخرى، فيعاد طبع هذه الكتب وتوزع بيعاً وإهداء.

ومن أمثلة ذلك كتاب الكسروي «التشيع والشيعة» وقد كتبه لشيعة الكويت، وتم قتل مؤلفه بتدمير من ملالي الرافضة، وذلك أثناء المحاكمة التي اقتيد إليها، أما كتابه فكان لا يكاد يوجد منه نسخة على وجه الأرض، وأثناء سفره إلى العراق لجمع المادة العلمية حول التشيع أثناء إعدادي لرسالة الماجستير يسر الله لي العثور على هذا الكتاب في المكتبة القادرية في بغداد، وصورته، ثم نشرته فيما بعد[34].

تاسعاً: محاولة منع أسباب انتشار ضلالهم:

ومن أهمها:

أـ قطع الشريان المادي وهو الخمس المالي، وذلك لأن الخمس له تأثيره الخطير فيبقاء نحلتهم وامتداد ضلالهم وانتشار فتنهم، ولذلك ذكر د. علي السالوس أنه لو لا هذا الخمس لما بقى الخلاف بين السنة والشيعة[35]، وأما وسيلة قطعه ومنعه فإنما يتحقق بأمررين: الأول: بيان بطلانه بالحججة والبرهان، والثاني: الحيلولة دون تحويله للمراجع الشيعية بالقوة والسلطان، وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[36].

بـ منع المدد المعنوي والعاطفي في المآتم والمجالس، فإن لها الأثر الكبير في زرع الحقد والكراهة في نفوسهم تجاه مخالفיהם، ولذلك ذكر الخميني في التلفزيون الإيراني أن هذه المآتم هي التي حفظت مذهبهم طيلة أربعة عشر قرناً[37]، وقد ذكر لي د/ مجید خلیفة – وهو أحد المهتدین من الشیعه – : «إن دین الشیعه یقوم على العاطفة، وإن الشیعی إذا استخدم عقله فإذا أن یهتدی وإنما أن یلحد»، فهذه المآتم وما یجري فيها من حکایات الصراع المکنوبه بين الآل والأصحاب، وقصص التاریخ المشوّه الذي وضعته الشعوبیة الحافظة هي التي تغرس في نفوسهم بنور الحقد، وتنکی فیهم نار العدوان والانتقام من مخالفیهم، لا سیما إذا أضیف إلى ذلك نصوصهم المقدسة في مصادرهم التي تحضّهم على القتل وفتاوی مراجعهم التي تشجّعهم على الإرهاب.

عاشرًا: التوعية العامة:

وذلك بطرق منها:

أـ توزيع الكتب والنشرات والمطويات التي تكشف بطلان عقائد هذه الطائفة، لا سیما بين أئمة المساجد والعاملين في ميدان الدعوة وغيرهم، فتوزيع هذه الكتب على أئمة المساجد ومعلمي المدارس ومدراء الإدارات والعاملين في ميدان الدعوة عن طريق المؤسسات الدعوية يساعد على وقف المد الشیعی وتعريف الناس بخطره .

بـ نشر ثقافة المحبة بين الآل والصحابة، وإبراز تسمية آل البيت أسماء أبنائهم بأسماء كبار الصحابة، كتسمية علي رضي الله عنه بعض أبنائه بأبي بكر وعمرو وعثمان، وإظهار جوانب الصلات والمصاهرات بينهما كزواج عمر رضي الله عنه من ابنة علي رضي الله عنه .

جـ توجيه أئمة المساجد إلى إعداد خطب عن الأمور التي تكشف هذه العقيدة الشیعیة، وتبيان القضايا العقدية التي خالف فيها الشیعی عموم الأمة بأسلوب يبين الحق دون تقليل أو تهویل، ولتكن بمثابة دروس علمية في بيان السنة وكشف حقيقة هذه النحلة وبطلانها.

دـ إنشاء دوريات (صحف، مجلات) في الداخل وفي البلدان الإسلامية للاهتمام بفضح المخطط الشیعی وبيان فساده في عدة بلدان – ولا سیما التي تتعرض للغزو الشیعی الباطني – بلغات مختلفة ويشرف عليها أشخاص من نفس بلد المنشأ وتعنى هذه الدوريات بتتبع الفكر الشیعی وتتابعه ومخططاته مع التثقيف المستمر عن هذه النحلة، ولا يكتفى بإنشاء الدوريات بل يتواصل مع المشرفين على الدوريات القائمة ليكون موضوع رصد التشیع والتحذیر منه جزءاً من أهدافها.

هـ التواصل مع الجمعيات الإسلامية في العالم الإسلامي، فيتواصل مع المعتمد منها، لحثّها على جعل هذا الموضوع ضمن اهتماماتها حماية للأمة من خطر هذه النحلة.

وـ إنشاء موقع على الشبكة العنكبوتية للرصد والتحذير والدفاع والدعوة والتواصل، فإن لها تأثيراً كبيراً جداً.

زـ الاستفادة من وسائل الإعلام لبيان الحق لهم، ودعوتهم، وهذا يحتاج إلى دعم عدد من الفضائيات وبعدد من اللغات خاصة الفارسية والأردية والعربية، ومع الأسف فإن للرافضة عدداً كبيراً من الفضائيات تنشر فتنهم وضلالهم، ولا يوجد ما يواجهها ولا بعشر عددها، وإنما الحق يعلو ولا يعلى عليه، ولابد من توجيه القنوات التلفزيونية والإذاعات الرسمية لإعداد

برامج عن مكانة الصحابة وحقوقهم، وبراءة أهل بيته من البدع ونحو ذلك.

كما أنه من المهم تصنيف نشرات، ومطويات، وتسجيل أشرطة، والمشاركة في فضائيات، وصحف، ودوريات، وإذاعات وذلك وفق منهج دعوي متخصص يوجه إليهم، ويبين الحق لهم بدون إثارة، أو هجوم، أو مواجهة، وقد ثبت في حالات كثيرة رجوعهم إلى الحق بعد قراءة كتاب، أو مطوية، أو سماع شريط، أو مشاهدة حلقة في فضائية.

حادي عشر: المناهج الدراسية:

إن من المهم الاستفادة من المناهج الدراسية في بلاد أهل السنة لبيان الحق لهم، ولا سيما في مناهج المدارس الابتدائية، والمتوسطة، فقد قال علماء التربية والاجتماع: كم من أحداث وقعت في التاريخ، وأثرت في سير المجتمع تكمن بواعثها في مؤثرات منزلية، ومدرسية.

والمراجع لمناهج الدراسة في إيران والمطبقة على الشيعة وأهل السنة سواء يجد أنها تحولت لديهم إلى صياغة لفكر الناشئة مما يحول بينهم وبين الحق، حتى بلغ الحال بهم أن حملوا الأسئلة النحوية إلى تعليمات عقدية لناشئتهم، بينما هم يعترضون في المناهج لدينا على مسائل عقدية ثابتة، أو حوادث تاريخية واقعة، ولا يتزدرون في مخاطبة أصحاب القرار لللاحتجاج عليها.

ومن المتعين حث جميع الجامعات على تدريس عقائد هذه الطائفة كمتطلب جامعي، إذ لا يوجد في المناهج الجامعية في كثير من الجامعات مقررات تكفي لفهم عقيدة الشيعة وبيان بطلانها مما يجعل أبناءنا وبناتنا غير محسنين ضد هذه العقيدة التي يتدعّس بها الشيعة إليهم من خلال العواطف مستغلين روایات تاريخية لا تصح وذلك عبر القنوات والشبكة العنكبوتية والاتصال المباشر.

ولهذا فلا بد من إعداد منهج خاص بعقائد هذه الطائفة وبيان بطلانها بالأسلوب العلمي الهادئ، ويوضع كتاب يشتمل على عقيدة الشيعة الاثني عشرية يعرض أهم عقائدها وأساليبها والرد على شبّهاتها.

ثاني عشر: دعم أهل السنة في إيران:

يعاني أهل السنة في إيران من الاضطهاد والتعدّي والإقصاء، ولا يجدون من أهل السنة خارج إيران نصيراً ولا معيناً، ومن الواجب على أهل السنة أن يقوموا بالحق الواجب تجاه إخوانهم بنصرة قضيّاهم، والتواصل معهم.

ومن أهم ما يجب الاعتناء به فتح أبواب الدراسة في الكليات الشرعية لطلاب أهل السنة في إيران، وتزويدهم بالعلم والمال ليكونوا دعاة لأهلهم وإخوانهم إذا رجعوا إليهم.

ومن الضروري أيضاً التواصل مع علماء ودعاة أهل السنة هناك لمعرفة أخبارهم والاطلاع على أحوالهم ونصرتهم ودعمهم معنوياً ومادياً.

ثالث عشر: الدورات:

عقد دورات تأهيلية لبعض الدعاة للتخصص في دراسة معتقد هذه النحلة ودعوة أتباعها، وكذلك عقد الدورات للعناصر المختارة من المهتمين منهم، يعني بمناهجها، ويختار لها مراجعها، وينتخب أساتذتها، بحيث تعقد دورات خاصة بالدعاة المهتمين يكون لها الصفة الحوارية للإفادة والاستفادة، ودورة أخرى للدعاة العاملين أيضاً للتعرّيف بهذه الطائفة وبيان بطلان عقائدها، ويجب أن يكون أئمة المساجد ومدراء المدارس وملّموها على وعي كامل بهذه الفرقـة وعقيـدتها، ولعل ذلك لا يتحقق إلا بعقد دورات ولقاءات مع أئمة المساجد ومدراء المدارس وملّموها.

رابع عشر: التأهيل:

تأهيل نخب من طلاب العلم للدعوة والحوار والتأليف والمشاركة في الفضائيات، وللأسف فإن الذي يقوم بهذه المهمة هم شيوخ الروافض، فإن لهم مراكز متخصصة تدرب الدعاة وتبعثهم إلى العالم الإسلامي ليقوموا بمهمة الدعوة وفق مراحل

مدروسة، وتحت مظلات مختلفة طبية، واجتماعية، ومصرفية، واقتصادية، وتربوية، وسياحية... إلخ.

ولا يقتصر هذا النشاط على الشيعة فقط، بل يتعمّن الاهتمام بفتح المعاهد والمراكز في البلدان الإسلامية لإعداد الدعاة المؤهلين في كل ملة ونحلة وفرقة، وإقامة معاهد بعد المرحلة الثانوية لإعداد الدعاة الملمين بعقائد المخالفين المدربين على الحوار مع المخالف، وتفتح هذه المعاهد في عدة دول وتصرف للدارسين بها مكافآت كحافظ للالتحاق بهذه المعاهد، ثم ينتقى المتميزون منهم بعد التخرج لرعايتهم والاستفادة منهم، ويشرف على هذه المعاهد أشخاص من نفس البلدان التي تقام فيها، وتعد المناهج لتكون شاملة لكل الجوانب العلمية والعقيدة ليكون خريجوها على مستوى عال من الوعي.

ويخدم هذا التأهيل وسائلتان أساسيتان:

الأولى: إنشاء مكتبة علمية متكاملة تضم مصادرهم، وإصداراتهم الورقية والإلكترونية، ودورياتهم، وصحفهم، ومجلاتهم، ومناهجهم، ومقرراتهم... إلخ.

الثانية: إنشاء مراكز علمية تعنى بدراسة التشيع وفرقه ومصادره ومناهجه وعقائده وتاريخه وواقعه، وإعداد الدراسات العلمية التي تتناول معتقداتهم ومصادرهم وأهدافهم وجميع ما يتعلق بشأنهم، تضم مجموعة من المختصين، والباحثين، والمهتمين بأمر التشيع والتيارات الباطنية، وتقوم برصد أنشطتهم من حركات، وأحزاب، وحركات، وجمعيات، ومذاهب، وموقع، ومنتديات، وفضائيات، ودعابة، ورسائل ونشرات، ومجلات، ومقررات.

[1]؟مجموع الفتاوى: 28/232.

[2]؟منهج السنة النبوية 6 / 370.

[3]؟منهج السنة النبوية 6 / 372.

[4]انظر سبب ذلك في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 28/478.

[5]انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة.

[6]؟«شرح الطحاوية» (1/7).

[7]؟انظر قصة مناظرة ابن عباس للخوارج في: «السنن الكبرى» للنسائي برقم (8522)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» برقم (18678)، والطبراني في «الكبير» برقم (10598) أن عددهم كان أربعة وعشرين ألفاً، رجع منهم عشرون ألفاً.

[8]هو أخو خداينده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالترار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في (البداية والنهاية لابن كثير 6/14).

[9]انظر: «منهج السنة» (5/160).

[10]؟«مدارج السالكين» (3/411).

[11]؟«منهج عملي للتقريب» مقال للرافضي محمد الحائر ضمن كتاب الوحدة الإسلامية (ص33)، ونشر في مجلة رسالة الإسلام في القاهرة.

[12]؟«الدستور الإيراني» (ص15-16).

[13]مجلة «الرسالة» مجلد 3، (ص1614) بعنوان «السنيون والشيعة و موقفهما اليوم»، محمد رضا المظفر.

[14]انظر: «مسألـة التـقرـيب» (2/253).

[15]؟أخرجه الدارقطني ح(4606)، والحاكم في «المستدرك» ح(319)، وحسنه الألباني (منزلة السنة ص13).

[16]؟«المصدر السابق» (7/449).

[17]؟«المصدر السابق» (1/107).

[18]؟وأنكر هنا أربعة نماذج:

الأول: المرجع الشهير حسين المؤيد الذي هدأ الله إلى الحق بعد قراءته كتاب «أصول مذهب الشيعة»، قال الدكتور/ محمد السعدي: كان الشيخ حسين المؤيد أستاذًا في الحوزة في قم، وقدم إليه بعضهم كتاب «أصول مذهب الشيعة» للشيخ القفاري ليرد عليه، وكانت بداية رحلته نحو الهدایة. قلت: وقد حدثني بمثل ذلك العالم الشيعي المهتدى الدكتور/ مجید خليفة، وكذلك أخبرني بمثل ذلك الشيخ أبو المنتصر البلوشي والشيخ المهندس طارق العيسى رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي، وقد جاء إلى المرجع حسين المؤيد بمصححة الشيخ أبي المنتصر البلوشي، والتقيبه بالحرم المكي في حج العام الماضي 1433هـ.

الثاني: الأستاذ علاء الدين البصیر، وهو من أصحاب التخصصات العلمية الدينوية الدقيقة، وقد التقى به بالحرم المكي بعد صلاة التراویح في رمضان عام 1435هـ.

ونذكر لي بأنه كان شيئاً يظن أن هذه النحلة هي الحق، ثم تبين له الأمر، ونكشف له المستور، ونذكر لي أن من أسباب عودته إلى الحق هو قراءاته لكتابي «مسألة التقريب»، وبالذات ما يتعلق بالتأويلات الباطنية عند الشيعة، وقال لي: بعد قراءتي لهذه التأويلات التي لا تربطها أدنى رابطة لا بالمعنى اللغوي، ولا بالمعنى المفهوم، ولا بالسياق، قلت في نفسي: إذا ثبت أن هذه التأويلات موجودة في مصادرنا الشيعية كما يذكر صاحب «التقريب» فإن ذلك يكفي دليلاً على بطلان مذهبنا، وأعاني على هذا الفهم أني صاحب تخصص علمي منهجه، يزن الأقوال بميزان دقيق. قال: حينها بدأت في جمع مكتبة شيعية تضم المصادر الأساسية، ثم قمت بمقابلة النصوص ومراجعتها المثبتة في التقريب مع المصادر الشيعية التي تمت الإحالات إليها، فوجدت النتيجة صحة المقابلة، وسلامة التوثيق، وحيثئذ أيقنت بأننا على ضلال، وخرجت من المذهب، ومن الله على باعتناق السنة، وكان ذلك قبل تسع عشرة سنة، وجئت نفسي بعدها لفضح هذه النحلة وكشف حقيقتها، وقد صنفت في هذا الباب نحو خمسين كتاباً، نشر منها تسع.

الثالث: أذكر أني التقى مرة بأحد مثقفي الشيعة ووجهت إليه مجموعة من الأسئلة والإيرادات انتهى به الأمر إلى أن أغورقت عيناه بالدموع، وقال في النهاية: «ما حال أبي وأمي؟».

الرابع: التقى بأحد علماء الشيعة في مكة، وجرى بيديه حوار انتهى بعجزه عن الرد، وما قلت له: هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بالإمامية؟ قال: نعم، أقرأ كتابكذا وكذا، قلت له: فهل استجاب له الناس؟ قال: لا، لم يستجب له إلا القليل مما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، قلت له: وهل أوصى أبو بكر لغير بالخلافة؟ قال: نعم، قلت: فهل استجاب له الناس؟ قال: نعم، قلت: أبو بكر أكثر تأثيراً في الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: الدين لا يؤخذ بالعقل، الدين يؤخذ بالنص.

والشواهد في ذلك كثيرة، ولدي مشروع علمي في إعداد دراسة علمية حول المحدثين من الشيعة إلى السنة.

[19] أخرجه البخاري (1458)، ومسلم (19).

[20] «تنزيه الأنبياء» (ص132).

[21] «الغيبة» للنعماني (ص83)، «بحار الأنوار» (27/201).

[22] «كشف الاشتباه» عبد الحسين الرشتي (ص 59-63).

[23] «ثبتت دلائل النبوة» (1/294)، وانظر الدراسة المنشورة في مجلة البيان بعنوان: «الحوار غير المجدى مع الروافض».

[24] «أصول الكافي» (1/222).

[25] «بحار الأنوار» (192).

[26] «أي الخفة والطيش».

[27] «الكافى» (1/222).

[28] انظر تفصيل القول فيها في: «أصول مذهب الشيعة» (2/823) وما بعدها.

[29] انظر: «الغيبة» للنعماني (ص11)، «الغيبة» للطوسى (ص105-106).

[30] «إكمال الدين» ص2.

[31] انظر: «تهذيب الأحكام» (2/3-1).

[32] راجع كتاب: «أسئلة قاتد شباب الشيعة إلى الحق».

[33] انظر تفصيلها في «مسألة التقريب» (1/58-83).

[34] نشر عام 1404 هـ بمشاركة أخي د. سلمان العودة.

[35] انظر: «الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية» للمؤلف.

[36] انظر بحث: «اللصوصية المقنة» المنشور بمجلة البيان.

[37] جريدة «الاطلاعات» العدد (15901) في تاريخ 1399/8/16هـ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم، صفة الغلاف)